بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

اهتدى العرب إلى القافية منذ عهد بعيد لا نملك من الدلائل ما يكشف عن حدوده ، وتطاول بهم الزمن ، فوضعوا لها ما أحبوا من قواعد لسنا ندرى أيضاً متى وضعوها ؟ ومتى اتفقوا عليها ؟ ولكن ما بين أيدينا من شعر جاهلى تام فى نظامه ، كامل فى قواعده ، ينبئ عن هذا الزمن البعيد ، والتطور الدائب .

وعلى الرغم من أسفنا لضياع هذه الأطوار الأولى ، بقى لنا من أخبار الجاهلية المتأخرة ما ينم عن تنبه العرب ، وخاصة من تحضر منهم ، إلى بعض الظواهر المتصلة بالقوافى ، وما قد يصيب الأوضاع التى تعارفوا عليها بالخلل ، وإن كان أحد منهم لم يعلن عن هذه الأوضاع .

فالقافية التى عرفوها وضعوا لها اسماً خاصًّا بها نستطيع أن نستنبط من شيوعه أنهم وضعوه منذ زمن بعيد[1] .

ووضعوا اسماً آخر قد يدل على تنبه أعمق من سابقه لدلالته على أحد أجزاء القافية ، ذلك هو الرَّوِىّ ، قال المعرى[2] : « الروى : الحرف الذى تُبنَى عليه القافية . وقد كانت العرب تعرفه فى الجاهلية . قال النابغة :

بحَسْبِك أن تُهاض بِمُحكماتٍ يَمُرّ بها الرَّوِىُّ على لسانى »

وأعلن التنوخى[3] — تلميذ المعرى — أن العرب ليس عندهم معرفة بشىء آخر من حروف القافية ، فإن صحت هذه الرواية كان العرب فى الجاهلية قد فرقوا بين القافية والروى . ولكننى غير مطمئن إلى هذا القول ؛ فلم أجده عند غير المعرى وتلميذه ، ولم يروياه عن غير النابغة من الشعراء المعاصرين له والتالين فى الجاهلية . ورواية المعرى غير متفق عليها : فقد روى ابن السكيت البيت[4] : « يمر بها الغَوِىّ على لسانى » يعنى شيطان شعره — وفق عرفهم . وهى

---

(١) انظر الحديث عن القافية فى اللغة والشعر .

(٢) الفصول والغايات ٤٦٤ . وتهاض : تكسر وتذلل . ومحكمات : قوافٍ .

(٣) القوافى ٧٤ .

(٤) ديوانه ١٤٨ .

رواية أوضح من رواية المعرى وأيسر فهما .

وإذا كان الشك يحيط بهذا الاسم فإن شيئا منه لا يتسرب إلى إحساس العرب القدماء ببعض ألوان الخلل فى القوافى ، ومحاولتهم إعطاءها الأسماء الخاصة بها . وأقدم ما عثرت عليه ما يحكى عن إخلال النابغة الذبيانى بوحدة حركة الروى . وقد حاول من فطن إلى هذا الخلل أن ينبه الشاعر فلم يتنبه ، حتى اضطر أن يلجأ إلى الغناء الذى يمد الأصوات ويبينها فى جلاء ، فانتبه الشاعر إلى ما وقع فيه . قال أبو عمرو بن العلاء[٥] : « دخل النابغة إلى المدينة ، فقالوا له : قد أقويت فى شعرك . وأفهموه ، فلم يفهم حتى جاءوه بقينة ، فجعلت تغنيه :

أَمِنْ آل مَيَّةَ رائحٌ أو مُغْتَدِ عجلانَ ذا زادٍ ، وغيرَ مُزَوَّدِ

زعم البوارحُ أن رحلتَنا غداً وبذاك خَبَّرنا الغرابُ الأسودُ

وتبين الياء فى « مزودى » و « مغتدى » . ثم غنت البيت الآخر ، فبينت الضمة فى قوله « الأسودُ » بعد الدال . ففطن لذلك فغيَّره وقال : (وبذاك تَنْعاب الغرابِ الأسودِ) وكان النابغة يقول : دخلت يثرب وفى شعرى شىء ، وخرجت وأنا أشعر الناس » .

وتكرر الخبر نفسه مع شاعر جاهلى آخر كان قريب عهد بالإسلام : قال أبو عمرو ابن العلاء أيضاً[٦] : « فَحْلان من الشعراء كانا يُقْويان : النابغة ، وبشر بن أبى خازم : فأما النابغة فدخل يثرب . . . وأما بشر فقال له سوادة أخوه : إنك تُقوِى ! فقال له : وما الإقواء ؟ فأنشده بيتيه :

ألم تَرَ أنّ طولَ الدهرِ يُسْلى ويُنْسِى مثلَ ما نُسيت جُذامُ

وكانوا قومَنا فبَغَوْا علينا فسُقْناهم إلى البلد الشآمى

وآخر الأول منهما « نسيت جذامُ » فرفع ، ثم قال « إلى البلد الشآمى » فخفض . ففطن بشر فلم يعد » .

وتبين هذه الأخبار أن من فطنوا إلى هذا الخلل سموه الإقواء ، واشتقوا منه الفعل أقوى .

كذلك فطنوا إلى خلل آخر سموه الإكفاء ، قال الأخفش[٧] : سألت العرب الفصحاء عن الإكفاء ، فإذاهم يجعلونه الفساد فى آخر الشعر والاختلاف من غير أن يحدوا فى ذلك

---

(٥) الموشح ٣٨ – ٤٠ الرائح : السائر فى المساء . والمغتدى : السائر فى الصباح . والزاد هنا : ما وهبته حبيبته من تحية أو رد سلام أو وداع . والبوارح : الطير التى يتشاءم بها .

(٦) الموشح ٥٩ . الشعر والشعراء ٢٧٠ .

(٧) القوافى ٤٣ . تعفص : يتخذ لها عفاص ، أى سداد . والحجاج : العظم حول العين . وتلخص : يكثر اللحم فى جفن العين العليا . والصيران : القطعان . والمها : البقر الوحشى . والمنقز : الوائب .

شيئاً ، إلا أنني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف ، وأنشدته :

كأنّ فا قارورةٍ لم تُعْفَصِ
منها حِجاجاً مُقلةٍ لم تَلْخَصِ
كأنّ صِيرانَ المَها المُنَقِّزِ

فقال : هذا إكفاء . وأنشده آخر قوافى على حروف مختلفة ، فعابَه ، ولا أعلمه إلا قال : قد أكفأتَ . . . والمُكْفَأ فى كلامهم هو المقلوب » .

وفطنوا إلى خلل سموه السناد . قال الأخفش[٨] : « وأما ما سمعت من العرب فى السناد فإنهم يجعلونه كل فساد فى آخر الشعر ، ولا يَحُدّون فى ذلك شيئاً . وهو عيب عندهم . ولا أعلم إلا أنى قد سمعت بعضهم يجعل الإقواء سناداً . وقال الشاعر : « فيها سناد ، وإقواء ، وتحريد » فجعل السناد غير الإقواء ، وجعله عيباً ، ومن السناد أيضاً قوله :

تَعْرِف فى قِعْدَتِه وحَبْوَتِهِ
أنّ الغداء إن دَنا من حاجته
وامتدّ عُرْشا عُنُقِه للُقْمتِه

وفطنوا إلى خلل سموه التَّحْرِيد . قال الأخفش[٩] : « وفيه التحريد ، ولا يَحُدّون فيه شيئاً ، إلا أنهم يريدون به غير المستقيم ، مثل الحَرَد (العوج) فى الرِّجْلين » . وذكره النابغة الذبيانى فقال[١٠] :

وَعْثُ الروايةِ ، بادِى العيبِ ، مُنتكِبٌ فيه سِنادٌ ، وإقواءٌ ، وتحريد

يتضح من هذا أن العرب فطنوا إلى أنواع من الخلل تصيب آخر البيت من الشعر فتعيبه ، وسموها الإقواء والإكفاء والسناد . ولكن إحساسهم بهذه الأنواع – فيما يبدو – بقى مبهماً ، لم يستطيعوا أن يحددوه ، ويضعوا الفواصل بينه وبين غيره . ولذلك قال المرزبانى[١١] : « والعرب قد تخلط فيما بين الإكفاء والإقواء . . والسناد : هو أيضاً فساد فى القافية ، وقد جعله قوم بمنزلة الإقواء والإكفاء » .

وإنما حددها العلماء[١٢] ، وميزوا بينها ، وخاصة الخليل ، قال[١٣] : « رتبت البيت من

---

(٨) ٥٥ . العرش : لحمة مستطيلة فى جانب العنق .

(٩) ٦٨ .

(١٠) التنوخى : القوافى ١٣٦ . والوعث : العسر الشاق . والمتكب : المنحرف .

(١١) الموشح ١٥ ، ٢٤ .

(١٢) الموشح ١٥ .

(١٣) الموشح ٢١ .

الشِّعْر ترتيب البيت من بيوت العرب الشَّعَر . . . فسميت الإقواء ما جاء من المرفوع فى الشعر والمخفوض على قافية واحدة . . . وسميت تغير ما قبل حرف الرَّوى سناداً . . . وسميت الإكفاء ما اضطرب حرف رويه . . . » .

وقال ابن السراج[١٤] : «وبعضهم جعله (أى التحريد) اختلاف الضروب أو الأعاريض فى الشعر الواحد . . . » . وقد أدى ذلك إلى عدم اتفاقهم على مفهوم واحد لهذه الألفاظ .

وميز العرب القدماء بين الشعر الذى عابته هذه الأنواع من الخلل ، والشعر غير المعيب ، قال الأخفش[١٥] :

«وفى القوافى النصب والبأو ، وذلك كل قافية سليمة من السناد ، تامة البناء . فإذا جاء ذلك فى الشعر المجزوء لم يسموه نصباً ولا بأواً ، وإن كانت قافيته قد تمت ، نحو قوله :

« قد جبر الدينَ الإلهُ فجَبَّرَ » . فلم يميز بين الاسمين . وأظن أن علماء العروض لما وجدوا الإسمين عندهم ميزوا بينهما . قال ابن السراج[١٦] : «وقيل النصب : تجنب المستقبح من السناد ، والبأو تجنب المستحسن منه» . وصرح تصريحاً قاطعاً أن الاسمين مرويان عن العرب وليسا من ابتكار الخليل ، قال : «سمعنا ذلك من العرب ، وليس ذا مما سمى الخليل ، وإنما تؤخذ الأسماء من العرب» .

لا غرابة إذن أن أقول : إن الشعراء فطنوا إلى هذه العيوب ، وحاولوا تجنبها . ودليلى على ذلك قول الشاعر المخضرم كعب بن زهير فى أثناء حديثه عن شاعريته هو والحطيئة . قال[١٧] :

فمن للقوافى ، شانَها من يَحوكُها إذا ما ثَوى كعبٌ ، وفَوَّز جَرْوَلُ
يقول فلا يَعْيا بشىء يقوله ومِن قائليها من يُسىء ويعمل
يُقَوِّمُها حتى تقوم مُتونُها فيَقْصُر عنها كلُّ ما يُتَمَثَّل

وقد رد عليه المُزَرِّد بن ضِرار الغَطفانى متبرئاً من السرقة ومن أحد العيوب السابقة ، فقال[١٨] :

---

(١٤) الكافى ١١٥ .

(١٥) ٦٤ .

(١٦) ١١٤ .

(١٧) ديوان كعب ٥٩ . ويحوكها هنا : يصنعها . وثوى : أقام ، أى دفن . وفوز : هلك . وجرول : الحطيئة . ومتونها : ظهورها ، يريد تهذيبها . ويقصر : ينحط . ويتمثل : ينشد ويروى .

(١٨) ديوانه . ٨٠ .

وباستِك إذْ خَلَّفتَنى خلفَ شاعرٍ من الناس لم أُكْفَىْ ولم أتنحَّل

وفى العصر الإسلامى رهف الحس العربى ، وعمق الوعى ، فلم يقتصروا على التفطن إلى ما يصيب القوافى من نقص فى موسيقاها ، بل تعدوا ذلك إلى عيب أخفى : قال أبو هلال العسكرى[١٩] : «مما عيب من القوافى قول ابن قيس الرقيات ، وقد أنشد عبد الملك :

إنّ الحوادثَ بالمدينة قد أوجَعْنَنى وقَرَعْنَ مَرْوَتَيَهْ
وجَبَبْنَنى جبَّ السنام فلم يترُكن ريشاً فى مناكبيه

فقال له عبد الملك : أحسنت ، إلا أنك تخشت فى قوافيك . فقال : ما عدوت قول الله عز وجل : (ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه)[٢٠] . وليس كما قال ، لأن فاصلة الآية حسنة الموقع ، وفى قوافى شعره لين» . فما تنبه إليه عبد الملك ليس إخلالاً بأحد شروط القافية المتفق عليها بل هو عيب فنى .

تلك هى الأمور المتصلة بالقافية التى تنبه لها العرب وتحدثوا عنها ، غير أن حديثهم كان مجرد إشارة ، وإبانة لعيب . ولم يتعد ذلك إلى تفضيل أو تقعيد .

وبقيت قواعد القافية تنتظر من يكشف عنها ، ويجلوها أمام الأنظار ، إلى أن جاء أول من فعل ذلك للوزن الشعرى ، ففعله للقافية أيضا : أى أنه تناول موسيقى الشعر الظاهرة بشطريها . وكان الذى فعل ذلك أبا عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى (١٠٠ - ١٧٥ هـ) ، ولم يفرد الخليل كل شطر بكتاب ، بل جمعهما معاً فى كتاب واحد سماه أكثر الكتاب «العروض» ، وشذ عنهم الزبيدى[٢١] فجعله كتابين باسم «الفرش» و«المثال» ، أولهما ممهد لثانيهما .

ومنذ ذلك العهد ، بقى صنيعه تقليداً متبعاً فى جميع كتب العروض ، تبدأ بتناول الوزن ، وتنتهى بتناول القافية ، سواء أسهبت أو أوجزت ، ولكنّ عدداً من المؤلفين أصدروا كتباً خاصة بالقافية ، سواء وهبوا للوزن كتاباً آخر أو لم يؤلفوا فيه . وهذه الكتب الخاصة بالقافية هى التى أود أن أقف عندها ، وألقى بعض الضوء عليها ، وإن كنت أوقن أن بعض الدراسات غير المفردة كانت أهم من بعض هذه الكتب ، وأحسب أن بعض هذه الكتب لم تكن مستقلة

---

(١٩) الصناعتين . ٤٥٠ .

(٢٠) الحاقة : ٢٨ و ٢٩ .

(٢١) طبقات النحويين واللغويين ٢٩١ .

يوم دوّنها مؤلفها ، بل كانت جزءًا من كتاب فى العروض ، ثم أفردها بعض النساخ أو المقتنين .

وتدل الدلائل كلها أن ما كتبه الخليل عن القافية كان فى تمام ما كتبه عن الوزن ، فصار عماد كل من جاءوا بعده ، ولم يستطيعوا أن يضيفوا إليه غير القليل ، وبعض التفريعات ، وما أتى به البديع الذى أولع به الشعراء المتأخرون .

وأقدم من نعرفه من المؤلفين فى القوافى كتباً خاصة أبو محرز خلف بن حيان الأحمر البصرى (المتوفى حوالى سنة ١٨٠ هـ) ، أعلن ذلك أبو العلاء المعرى[٢٢] ، وإن كان حديثه عنه يدل على سماعه به وعدم رجوعه إليه ، قال : «وقد رُئِى فى القوافى كتاب للفراء ، وكتاب لخلف ابن حيان ، فإن لم يخلوا من ذكر الإشباع فهذا يدل على . . .» .

ولم أعثر لخلف إلا على قولين يتعرضان للقافية ، ربما كان أولهما مأخوذاً من كتابه ، ويتحدث عن الإيطاء[٢٣] . أما الآخر فحوار دار بينه وبين محمد بن سلام الجمحى[٢٤] ، خالف فيه خلف الخليل ، وتدل الظواهر أنه ليس من كتابه ، وإن لم أستبعد أن يدون فيه مثل ما قاله لابن سلام .

ويدل قول المعرى على أن أبا زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (١٤٠ – ٢٠٧) ألف كتاباً فى القوافى أيضاً ، ويؤيد قوله أكثرُ من قول آخر . فقد وصف أبو سعيد نشوان الحميرى[٢٥] ذلك الكتاب بالصغر والاختصار ، ورجع إليه فى عدة مواضع ، وتعرض التنوخى[٢٦] لشىء من مادته ، فأعلن أنه أول من كشف عن أضرب القوافى المقيدة والمطلقة تبعاً للحروف المقترنة بها . . وروى البغدادى[٢٧] عن الفراء حديثاً يتعرض لضرورة شعرية وقع فيها لبيد بن ربيعة العامرى ، غير أننا لا نعرف الكتاب الذى أخذه منه ، على وجه اليقين .

وأقدم كتاب وصل إلينا هو كتاب أبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (المتوفى حوالى سنة ٢١٥) الذى حققه الدكتور عزت حسن ، ونشرته مديرية إحياء التراث القديم من وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومى بدمشق فى ١٣٩٠ / ١٩٧٠ ، ونقده السيد أحمد راتب النفاخ فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق فى ١٣٩٢ / ١٩٧٢ . ثم أعاد تحقيقه ونشره عن دار الأمانة فى ١٩٧٤ .

---

(٢٢) شرح لزوم ما لا يلزم ١ : ٢٣ .

(٢٣) التنوخى ١٢٧ .

(٢٤) طبقات فحول الشعراء ٢٠٥ .

(٢٥) الحور العين ٤٤ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٣ .

(٢٦) ١٠٥ – ١٠٧ .

(٢٧) خزانة الأدب ٤ : ١٧٤ .

وأبان الكتاب القواعد التى التزم بها الشعراء فى القوافى ، والعيوب التى وقعوا فيها ؛ والأجزاء التى تندرج تحت اسم القافية : فبدأ بتعريف القافية ثم الحروف التى تقترن بها ، والحركات التى تعلوها أو تعلو الحروف المجاورة لها ، وعيوبها ؛ وما يصلح أن يكون رويًّا وما لا يصلح ؛ وما يجوز وما لا يجوز فيها ؛ وطرق إنشاد العرب إياها .

وروى المؤلف فى كتابه عن العرب الفصحاء مباشرة ، شأن المعنيين باللغة ، وأخذ عمن تعرض للقوافى قبله أو روى الأشعار ، وخاصة الخليل ثم أبى عمرو بن العلاء والمفضل الضبى ويونس بن حبيب والمازنى وغيرهم ، وقابل بعض أقوالهم ببعض ، وارتضى أقوالا ، ورفض أخرى . وعاش كتابه قريباً من المهتمين بالعروض والقوافى ، فصار أحد العمد التى بنوا عليها كتبهم . وبلغ من إعجاب ابن جنى به أن شرحه فى كتاب خاص . قال الخطيب البغدادى[٢٨] : «قال ابن جنى فى إعراب الحماسة . . . وقد تقصيت هذا فى كتابى المُعْرِب» ، وهو تفسير قوافى أبى الحسن» .

ثم ألف أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمى (المتوفى فى ٢٢٥) كتاباً فى القوافى ، لم يصل إلينا ، ولم يذكره أحد ممن ترجموا مقتصرين على كتاب العروض ، ولكن محمد بن خير الإشبيلى[٢٩] رواه عن شيوخه عن السيرافى عن الفارسى عن الزجاج عن المبرد عنه ، وذكره إسماعيل باشا البغدادى[٣٠] فى إيضاح المكنون. وقد أورد التبريزى[٣١] رأيًا له فى الإيطاء ، والتنوخى[٣٢] رأياً فى الرس ، وغير بعيد أن يكونا قد أخذاهما من هذا الكتاب .

ثم ألف أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢١٠ – ٢٨٥) كتابه «القوافى ، وما اشتقت ألقابها منه» . الذى حققه الدكتور رمضان عبد التواب ، ونشره عن مطبعة جامعة عين شمس فى ١٩٧٢ . وهو كتيب صغير تناول ضروب الروى المقيد والمطلق ، وعيوب القوافى معتمداً على مجرد التعريف وإيراد الشاهد ، فلا مناقشات ولا أقوال تنسب إلى أصحابها فيه . وعلى الرغم من ذلك ، تدلنا الأخبار السابقة أنه أفاد فيه من الفراء والجرمى ؛ كما تدلنا المقتبسات منه أن التنوخىّ والحميرى[٣٣] أفادا منه .

ثم ألف أبو الحسن محمد بن أحمد (بن) كيسان (المتوفى فى ٢٩٩) كتابه «تلقيب القوافى وتلقيب حركاتها» الذى حققه وليم رايت William Wright أستاذ العربية فى جامعة

---

(٢٨) خزانة الأدب ٢ : ٣٣١ .

(٢٩) فهرسة ما رواه ٣٤٢ .

(٣٠) ٢ : ٣٢٣ .

(٣١) ١٦٣ .

(٣٢) ٩٨ .

(٣٣) التنوخى ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٢٥ . والحور العين ٩٤ .

دبلن ، ونشره فى مجموعته التى سماها «جُزْزة الحاطب وتُحفة الطالب» فى سنة ١٨٥٩ . وقد بدأه بتعريف القافية ، ثم تناول الحروف المقترنة بها ، وحركاتها ، وعيوبها ، وإنشادها ، وأصنافها تبعاً لعدد حروفها ، والضرائر المتصلة بها . وكان همه الأول أسماء كل ما تناول واشتقاقها ، ومرجعه الأول كتاب الخليل وإن لم يغفل كتاب الأخفش .

ثم ألف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى الزجاج (٢٤١ – ٣١١) كتاب «الكافى فى أسماء القوافى» الذى نسبه له مترجموه ، ورواه ابن خير الإشبيلى[٣٤] عن شيوخه عن القالى عنه ، ولم أعثر إلا على قول واحد له متصل بالقوافى ، هو القول الذى أتى به التنوخى[٣٥] فى اشتقاق اسم المتكاوس من القوافى .

ثم ألف أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (المتوفى سنة ٣٤٠هـ) كتابه «المخترع فى القوافى»[٣٦] . ولعله الكتاب الذى رجع إليه ابن رشيق فى العمدة[٣٧] .

ثم ألف أبو الفتح عثمان بن جنى (٣٢٢ – ٣٩٢) عدداً من الكتب فى القوافى . منها «مختصر العروض والقوافى» .فقد اطلع ياقوت على إجازة كتبها ابن جنى لأحد الآخذين عنه ، فى سنة ٣٨٤ ، وعدَّد فيها كتبه ، فوجد فيها كتاب «مختصر العروض والقوافى[٣٨]» . وذكر مما لم تتضمنه هذه الإجازة كتاب «المعرب فى شرح القوافى» و «شرح الكافى فى القوافى[٣٩]» .

أما الكتاب الأول فالمظنون أن العروض منه انفصل عن القوافى[٤٠] ، واستقرت نسخ منه فى المكتبة القيصرية التى كانت ببرلين تحت رقم ٧١٠٨ ، ومكتبة فينا تحت رقم ٢٢٢ ، والمتحف البريطانى تحت رقم ٨٤٩٨ Or ، ولا لى تحت رقم١٩٨٣ ، وبشير أغا أيوب تحت رقم ١٥٤ . واستقرت نسخ القوافى فى مكتبة الإسكوريال تحت رقم ٤٤٢ ، ولا لى تحت رقم ٣٧٤٠ .

وأما الكتاب الثانى فقد عرفنا ابن جنى أنه شرح لكتاب الأخفش[٤١] ، ورجع إليه

---

(٣٤) فهرسة ما رواه ٣٥٦ .

(٣٥) ٦٠ .

(٣٦) كشف الظنون ٥ : ٤٤٠ . بغية الوعاة ٢ : ٧٧ .

(٣٧) ١ : ١٥٣ .

(٣٨) معجم الأدباء ١٢ : ١٠٩ ، ١١١ .

(٣٩) معجم الأدباء ١٢ : ١١٣ .

(٤٠) مقدمة الخصائص ٦٣ . تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ١ : ١٢٦ .

(٤١) الخصائص ١ : ٨٤ ، ٩٩ . خزانة الأدب ٢ : ٣٣١ .

التنوخى[٤٢] فى تعريف القافية ، والحديث عن التأسيس ، وابن سيده فى المخصص[٤٣]

وأما الكتاب الثالث فأظنه شرحاً لكتاب الزجاج . وأعلن ياقوت[٤٤] أنه «وُجِد على ظهر نسخة ذكرنا ناسخها أنه وَجَده بخط أبى الفتح عثمان بن جنى – رحمه الله – على ظهر نسخة من كتاب المحتسب فى علل شواذ القراءات» .

ثم ألف أبو على الحسين بن محمد السَّهْواجى[٤٥] (المتوفى سنة ٤٠٠ هـ) كتابه الذى لا نعرف عنه شيئاً .

ثم ألف أبو الحسن على بن سيده (٣٩٨ – ٤٥٨) كتابه «الوافى فى أحكام علم القوافى» ، الذى عالج فيه الضرائر الشعرية ، ونقد باب عيوب الشعر وطوائف قوافيه من كتاب الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام ، ورجع إليه كثيراً فى المحكم[٤٧] (وجاء فى اللسان عنه) . ووصفه طاش كبرى زاده[٤٦] بأنه مبسوط .

ثم ألف القاضى أبو يعلى عبد الباقى بن المحسن التنوخى ، من أهل القرن الخامس ، كتابه الذى حققه السيدان عمر الأسعد ومحيى الدين رمضان ، ونشراه فى سنة ١٣٨٩ / ١٩٧٠ عن دار الإرشاد ببيروت . وافتتحه بتعريف القافية ، ثم تحدث عن أنواع القوافى تبعاً لعدد حروفها ، وعن حروفها ، وحركاتها ، وأصنافها من حيث الإطلاق والتقييد ، وختم بعيوبها . وهذا الكتاب أكبر كتاب بقى لدينا عن القوافى ، وأكثرها استفادة من الكتب السابقة عليه ، وأشملها لمادته .

ثم ألف أبو القاسم على بن جعفر بن محمد السعدى المعروف بابن القطاع (٤٣٣ – ٥١٥) كتابه «الشافى فى علم القوافى» الذى تقتنى دار الكتب المصرية ثلاث نسخ منه تحت أرقام (٩ ، ١٠١ ، ٤ ش عروض) وهو كتاب صغير ، اعتمد مؤلفه فيه على الخليل والأخفش والفراء ، وتحدث بإيجاز عما تحدث عنه المؤلفون السابقون . والطريف فيه التفرقة التى ختمه بها بين الشعر والنثر .

---

(٤٢) ٥٨ ، ٨٤ .

(٤٣) ١ : ١٣ .

(٤٤) معجم الأدباء ١٢ : ١١٣ .

(٤٥) معجم الأدباء ١٠ : ١٦١ . فوات الوفيات ١ : ٢٦٢ . إيضاح المكنون ٢ : ٣٢٣ .

(٤٦) ١ : ٤ ، ١٠ وانظر المقدمة ٧ .

(٤٧) مفتاح السعادة ١ : ١٧٧ ، ٦ : ٤١٨ .

وألف أبو بكر محمد بن عبد الملك بن السراج الشنتريني (المتوفى سنة ٥٤٩ تقريباً) كتابه «الكافى فى علم القوافى». الذى حققه الدكتور محمد رضوان الداية. ونشره المكتب الإسلامى بدمشق فى ١٩٦٨، ثم أعيد طبعه فى ١٣٩١ / ١٩٧١، وهو متوسط الحجم، يعتمد على الخليل والأخفش والفراء، وتناول ما تناوله الأخفش من جوانب.

وألف ناصح الدين سعيد بن المبارك بن على الأنصارى المعروف بابن الدهان (٤٩٤ – ٥٦٩) كتابه «المختصر فى علم القوافى»[٤٨]، الذى رجعت إليه إحدى حواشى كتاب[٤٩] التبريزى فى الحديث عن الإدماج.

وألف أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان الحميرى (المتوفى سنة ٥٧٣) كتابه الذى سماه مؤرخوه[٥٠] «القوافى»، والمظنون أنه ما دعاه هو[٥١] «بيان مُشكل الرَّوى وصِراطه السَّوى».

وذكر طاش كبرى زاده[٥٢] أن أبا الحسن على بن مؤمن بن محمد الحضرمى الإشبيلى المعروف بابن عصفور (٥٩٧ – ٦٦٣) له «كتاب جم الفوائد»، ولكنّ مترجميه لم ينسبوا له شيئاً فى القوافى.

وألف أمين الدين محمد بن على بن عبد الرحمن الأنصارى المحلى (٦٠٠ – ٦٧٣) منظومته «الجوهرة الفريدة فى قافية القصيدة»، التى تقتنى دار الكتب المصرية نسخة منها تحت (رقم ١٠ عروض) ومكتبة الأزهر نسخة أخرى تحت (رقم ٦ عروض).

ثم ألف أبو الحسن على بن محمد بن الحسين الرباطى المعروف بابن برى (٦٦٠ – ٧٣٠) كتاب «الكافى فى علم القوافى» الذى تقتنى دار الكتب المصرية نسخة منه تحت رقم ٣ ش عروض، وهو مختصر فى تعريف القافية وإبانة أنواعها.

وألف شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الأصبحى العنابى الأندلسى (٧٧٦) كتاب «الوافى فى معرفة القوافى[٥٣]».

وألف شرف الدين أبو محمد إسماعيل بن أبى بكر بن عبد الله الشاورى اليمنى المعروف بابن

---

(٤٨) معجم الأدباء ١١ : ٢٢٢. نكت الهميان ١٥٨. بغية الوعاة ١ : ٥٨٧. كشف الظنون ٥ : ٤٥٠.

(٤٩) الكافى فى العروض والقوافى ٢٠٤ رقم ٣.

(٥٠) الحور العين ٢٥.

(٥١) الحور العين ٨٧. وانظر مقدمته ٢٥.

(٥٢) ١ : ١٧٧.

(٥٣) بروكلمان ٢ : ٣٢.

المقرى الشافعى (المتوفى سنة ٨٣٧) كتابه الذى تحتفظ مكتبة الأزهر بنسخة منه تحت (رقم ٧٣٧ مجاميع).

وألف أبو البقاء محمد الأحمدى الشافعى «الزبد الكافية الشافية فى إبراز مكنونات فوائد القافية»، فى سنة ٩١٦، كما تدل النسخة المحفوظة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٤١ عروض.

وألف خليل بن إبراهيم الكريدى كتابه، الذى تقتنى مكتبة الأزهر نسخة منه مدونة سنة ١٠١١ تحت رقم ٢١٦ عروض.

ثم ألف عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين العصامى الإسفراينى المعروف بملا عصام (٩٧٨ – ١٠٣٧) كتاب «الكافى الوافى بعلم القوافى» وهو مختصر، تقتنى دار الكتب المصرية نسختين منه تحت رقم ٣٤ مجاميع، و٣ مجاميع ش.

كذلك أعلن طاش كبرى زاده[٥٤] أن من الكتب المختصرة المؤلفة فى علم القوافى كتاب الأيكى، كما نسَبَ له مختصراً بديعاً فى العروض[٥٥]. ولم أستطع الاهتداء إلى المؤلف ولا إلى حقيقة كتابه أو كتابيه. وذكر أيضا أرجوزة لم ينسبها إلى أحد سماها «الأبيات الوافية فى القافية[٥٦]».

وفى العصر الحديث ألف الشيخ أحمد عثمان المحرزى الحنفى كتابه «الكلمة الكافية فى علم القافية» ونشره عن مطبعة الرغائب بالقاهرة سنة ١٣٣٥ هـ.

ونخلص من هذا العرض إلى أن المؤلفات العربية التى أفردت للقافية كثيرة لا أدعى أننى استطعت حصرها حصراً شاملاً لم يغادر منها شيئاً، وأن كثيراً من هذه المؤلفات مفقود، وأن ما طبع منها قليل. والظاهرة الواضحة فى هذه الكتب أن اللاحق منها لا يكاد يضيف إلى سابقه شيئاً، وإنما الفروق بينها فى الإيجاز والبسط والشواهد والعبارة، ما عدا التقسيم الذى يقال: إن الفراء أحدثه. ويتعدى الشبه المادة إلى المنهج، فتكاد تتماثل فى الأقسام والترتيب أيضا. ولا تخضع المصطلحات لتطور غير الذى وقع بين الخليل والأخفش تقريباً.

---

(٥٤) مفتاح السعادة ١ : ١٧٧.

(٥٥) مفتاح السعادة ٤ : ٣٠٢ – ٣.

(٥٦) مفتاح السعادة ٤ : ١٩٨.